الخطبة الثانية والتسعون

القدر

1. الإيمان به ومعناه. 2. أركانه. 3. الأمر الكوني والشرعي.

4. الإيمان به لا يوجب ترك العمل، بل يوجب الجد والاجتهاد.

5. فوائد الإيمان بالقدر. 6. لا يصح الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

إن عقيدة المسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أجاب به رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عندما سأله في الحديث المشهور المروي في صحيح مسلم، ولا يحق لأي إنسان أن يناقش أو يبحث في قضية القدر بغير علم صحيح متين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فقد روى شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم» حم - صحيح.

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا» صحيح الجامع للسيوطي، وقالوا: إن القدر سر الله في خلقه فهو الذي أمات وأحيا، وهو الذي منع وأعطى، وهو الذي أذل وأعز، وهو الذي أفقر وأغنى، وهو الذي قسم ما قسم بين الخلائق بقدرته ومشيئته، فكيف لك أن تعرف سر الله سبحانه في ذلك ومراده من إمساكه وعطائه وابتلاءاته ومنحه؟ لا نعرف، لذلك لا نعلل ولا نقول على الله بغير علم.

1. **لا بد من الإيمان بالقدر:** قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 54/ 49]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: 33/ 38]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن: 64/ 11]، روى مسلم (2655) عن طاوس قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر، قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: كل شيء بقدر حتى العجزُ والكيْسُ -أو الكيس والعجز-.

2. **معنى القضاء ومعنى القدر:** (القضاء): هو الخلق والإيجاد، و(القدر): هو ما قدره الله في الأزل، أي العلم الإلهي والحكم الإلهي الذي قدره قبل أن يخلق السموات والأرض، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فأول ما خلق الله: القلم، فقال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة» البخاري - أبو داود، والقضاء هو الخلق والإيجاد، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [فصلت: 41/ 12]، أي خلقهن وجعلهن، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: 2/ 117].

3. **أركان الإيمان بالقدر:**

1. الإيمان بعلم الله السابق كما ورد في حديث عبادة بن الصامت.
2. الإيمان بكتابه هذا القدر كما مر في حديث عبادة بن الصامت.
3. الإيمان بمشيئة الله النافذة أي أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء.
4. الإيمان بأنه خالق كل شيء.

1. **الركن الأول:** وهو الإيمان بعلم الله الأزلي. قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: 53/ 32]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 45/ 23].

قال ابن عباس رضي الله عنه: أي أن الله تعالى عَلِمَ ضَلَالَ هذا العبد قبل أن يخلقه، وعَلِمَ الله سبحانه أن هذا العبد سيكون هواه وشهواته إلهه ومعبوده

قبل أن يخلقه، والله سبحانه لم يفرض ولم يُجْبر هذا العبد على الضلال ولكن سبق علم الله فيه، والله سبحانه وتعالى علم أحوال الناس وعملهم وسلوكهم قبل أن يخلقهم، ولكن الله سبحانه خلقهم وأوجدهم، وابتلاهم بأوامره ونهيه وحرامه وحلاله، وأنزل كتبه وأرسل رسله وبيّن لهم طريق خيرهم وفلاحهم، وبيّن لهم طريق خسارتهم وما فيه شر لهم، والله سبحانه يعلم ما سيفعلون، ولكن الله سبحانه أراد أن يظهر ما علمه فيهم ويقيم الحجة عليهم بعملهم، وما أراد سبحانه أن يقيم الحجة عليهم بما علم فيهم، وابتلاهم بالشهوات والفتن حتى يختبرهم وهو أعلم بهم، قال تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: 18/ 7]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 21/ 35]، فاستحقوا المدح والثناء ومحبة الله وجنته بطاعتهم واتباعهم، واستحق الآخرون الذم والبعد عن الله تعالى وناره بعصيانهم وتمردهم على أوامره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل: 16/ 32]، أما الآخرون فقال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤﴾ [النحل: 16/ 34]، وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف: 7/ 43]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزخرف: 43/ 72]-وكلمة مهمة هنا- وهي أن هذا لا ينافي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لن يُنجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا، وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» البخاري وفي مسلم مثله، لا تعارض بين الحديث والآيات، فنحن لا شك أننا ندخل الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى، ولكن السؤال هنا: رحمة الله تعالى تتنزل على من؟ ومن يستحق رحمة الله تعالى؟ والجواب على هذا السؤال موجود في القرآن الكريم؛ حيث قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: 7/ 156]، والآية (157) من الأعراف

توضح صفات هؤلاء المؤمنين، فالحمد لله على منّه وكرمه.

2. **الركن الثاني**: الإيمان بكتابة المقادير. قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 36/ 12]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 21/ 105]، (الزبور): جميع الكتب المُنزّلة من السماء. و(الذكر): هو أم الكتاب أي اللوح المحفوظ.

1. وكتابة الأعمال مُقدَّرة من الأزل كما في حديث القلم وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء» رواه مسلم (2653).

2. التقدير عند أخذ الميثاق. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 7/ 172].

3. التقدير العمري. وهو حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يُجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة، بعد ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد) البخاري (3208 - 3332) - مسلم (2643).

4. التقدير السنوي في ليلة القدر. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: 44/ 3-4]، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «يُكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر» تفسير ابن أبي حاتم (12/ 213).

5. التقدير اليومي. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: 55/ 29]، ومن شأنه سبحانه أن يحي ويميت ويرزق

ويعطي ويمسك ويعز ويذل، ويرفع ويخفض، ويفرج مكروباً، ويشفي مريضاً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً سبحانه.

3. **الركن الثالث**: مشيئة الله سبحانه النافذة. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾ [آل عمران: 3/ 40]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير: 81/ 29]، قال الإمام الطحاوي: كل شيء يجري ضمن مشيئته وتقديره سبحانه وتعالى، ما شاء سبحانه كان وما لم يشأ لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان: 76/ 30].

4. **الركن الرابع**: الإيمان بأن الله خالق كل شيء. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: 39/ 62]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: 37/ 96].

4. **الأمر الكوني والأمر الشرعي**: قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ [الأعراف: 7/ 54].

1. الأمر الكوني قدري، فالله سبحانه خلق الملائكة، وخلق الشياطين، وخلق المؤمن والكافر، فالأمر الكوني لا علاقة له بما يحبه الله سبحانه وبما يبغضه.

1. أما الأمر الشرعي فهو الأمر المحبوب من الله سبحانه وتعالى، وهو الأمر الذي أمر به المؤمنين، وهو الأمر الذي يثاب فاعله ويأثم تاركه.

2. الأمر الكوني الموافق للأمر الشرعي. كأن يذهب الإنسان إلى الصلاة، فهذا أمر كوني وافق الأمر الشرعي الذي يحبه الله سبحانه، أو رجل تصدق أو حج أو ما إلى ذلك.

3. الأمر الكوني المخالف للأمر الشرعي. كأن يسرق الإنسان، فهذا أمر كوني خالف الأمر الشرعي؛ لأن الله سبحانه نهى عن السرقة والكذب وشرب الخمر والزنا.

4. فمشيئة الإنسان وفعله إذا طابقت الأمر الكوني الإلهي نفذت ومضت، وإن لم تطابق لم تنفذ ولم تمضِ، كأن يريد الإنسان سفراً وتعرقلت جميع محاولاته لأسباب خارجة عن إرادته، فنقول: إن مشيئته لم توافق التقدير الكوني. وهنا نقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: 81/ 29].

5. ومشيئة الإنسان إما أن تطابق الأمر الشرعي فيُثاب عليها -كالأعمال الصالحة وما أمر الله به-، وإما أن تخالف الأمر الشرعي فيأثم الإنسان لمخالفته الأمر الشرعي ومخالفته لما يحب الله ويرضاه.

6. فمشيئة الإنسان ولو كانت مطابقة للأمر الشرعي فلا بد من مطابقة للأمر الكوني حتى تنفذ، فإن لم تكن مطابقة للأمر الكوني لم تنفذ ولكن يثاب عليها الإنسان، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه تعالى: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها وعملها كتبها الله عز وجل عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة ولم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها وعملها كتبها الله سيئة واحدة» متفق عليه.

إرادة الحسنة تكتب حسنة وإن لم يستطع فعلها لعدم مطابقتها للإرادة الكونية فإن طابقت الأمر الكوني وفعلها كتبت عشر حسنات، وإرادة السيئة تكتب حسنة إذا كان المانع هو الخوف من الله تعالى، وفعل السيئة إذا وافقت الأمر الكوني ونُفِّذَت وعُمِلَتْ تكتب سيئة لمخالفتها للأمر الشرعي، وإرادة السيئة تُكتب سيئة إذا لم توافق الأمر الكوني، لأن إرادة السيئة مخالف للأمر الشرعي، ومُريد السيئة عقد قلبه على فعلها ولكن الظروف لم تمكنه أو أن الأمر الكوني لم يشأ ذلك ولم يوافق ذلك، فما استطاع فعل السيئة، فهذا يأثم للحديث عند أحمد وابن ماجه والترمذي، هو الحديث عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه عن النبي ﷺ «إنما الدنيا لأربع:... ورجل لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه لعمل فلان فهما في الوزر سواء».

5. الإيمان بالقدر لا يوجب ترك العمل ويوجب الجد والاجتهاد:

لا يحق لأي إنسان أن يقول: إذا كان الله قد قدّر علي فلِمَ العمل؟ أولاً: لأنك مأمور بالعمل، ووضح الله لك الأمور المحبوبة له والمنجية من عذاب الله فعليك العمل بها، ثانياً: أنت لا تعلم الغيب ولا تعلم ما كتبه الله تعالى فكيف تعتمد على مجهول لديك؟ وتترك ما أنت مطالب به، وقد أشكل مثل هذا على بعض الصحابة فقالوا لرسول الله ﷺ: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا، اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له) ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: 92/ 5-10]، البخاري (1362) - مسلم (2647).

وقال عليه الصلاة والسلام: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل) مسلم (2664) - جه - حم.

6. معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: 13/ 39]:

الأمر كله بيد الله تعالى وتابع لمشيئته، فما كتبه وعلم أنه سيمحوه فكل ذلك مكتوب، وما كتبه ولم يشأ أن يمحوه فكل ذلك مكتوب وقد كتب أموراً - والله أعلم- وعلقها بأمور وهذا كله مكتوب، وذلك كله بمشيئته سبحانه وتعالى، وقال عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه» البخاري (2067) - مسلم (2557)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يزيد في العمر إلا البِرّ، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها»، وفي رواية: (بالذنب يصيبه) حم - ت - جه، وكل هذا بقدر الله ومشيئته، فكما أن البذر سبب لخروج النبات، والمطر لحياة الزرع، والترس لدفع السهم، واللبس للوقاء من البرد، وكذلك الدعاء لرد البلاء، وصلة الرحم لزيادة الرزق، والبِرّ لزيادة العمر،

والكل بقدر من الله تعالى مكتوب، وكما قال سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قيل له عن طاعون عمواس: أَنَفِرُّ من قدر الله؟ -أي: إذا أراد الله لنا الإصابة بالطاعون- فقال: نَفِرُ من قدر الله إلى قدر الله.

المرض من قدر الله، والوقاية منه من قدر الله أيضاً، والجوع من قدر الله، والأكل لدفع هذا الجوع من قدر الله، ندفع هذا بهذا.

7. فوائد الإيمان بالقدر:

1. التوكل على الله تعالى، لأن كل شيء بأمره وإرادته ومشيئته.
2. براءة من العُجْب والاعتزاز بالنفس، لأنه لولا فضل الله وإرادته لم تستطع فعل ما فعلت.
3. الطمأنينة والرضا، لأن الله قدّره وشاءه ولا راد لقدره.
4. الرضى والتسليم، وتهونُ بالإيمان المصائب، لأنها من قدر الله تعالى.
5. الإيمان بالقدر مناف للشرك، لأنك مؤمن بإله واحد قادر، له الحكم وله القدر.
6. الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى، لأنه هو الذي يمحو ويثبت ويفعل ما يشاء.
7. التبرؤ من الحول والقوة والاستطاعة واللجوء إليه، إليه المصير في كل شيء.

8. لا يحتج بالقدر على فعل المعاصي:

1. لا يمكن الاحتجاج بالقدر لأن هذا يعطل الحقوق، فيسرق السارق، ويقتل القاتل، وكل إنسان يفعل جرمه ويحتج بالقدر، فهذا احتجاج فاسد يرفضه العقل والمنطق ولا يقول به عاقل.
2. الاحتجاج بالقدر يعطل الشرائع، ويكون إبليس وفرعون مثل أولياء الله، ويتساوى المؤمن والكافر، ويستوي الخبيث والطيب، وهذا باطل لا يُقْبَل.
3. الإنسان قادر ذو قدرة، وعنده عقل ينكر فيه الباطل والسيء، وعنده رغبة، وعنده تحكم وإرادة، والإنسان ذو خيار، وهذا هو مناط التكليف.

4. ولا يوجد عاقل يعتمد على القدر، بدليل: لا أحد يقول: لو قدّر الله لي لرزقني الولد (بلا زواج ولا نكاح)، ولو قدّر لي تحصيل الشهادات لحصلتها (بدون أن يدرس) ويجتهد، هذا من المحال.

5. وقضية احتجاج موسى وآدم كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قد قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة، فحج آدم موسى» متفق عليه.

لم يحتج آدم أو موسى على القدر، فإن آدم وموسى أعلم من أن يقعا في هذا الخطأ، وإنما احتجا على النتيجة، فقال: خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فوقع اللوم على المصيبة التي أخرجتنا من الجنة، ولم يكن اللوم على الخطيئة نفسها، لذلك قال العلماء: إن القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعايب.

وهناك قواعد يجب التذكير بها وهي:

1. إن الله عليم بكل شيء وأن الله سبحانه على كل شيء قدير، والأمور كلها تقع بموجب علمه وإرادته ومشيئته.

2. إن الله سبحانه قيوم السموات والأرض، قائم بنفسه، الكل محتاج إليه وهو ليس بحاجة لأحد، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية المكذبين الجاحدين، والغني الغنى المطلق الشامل، والله ليس بحاجة إلى تعذيب العباد، والله ليس بحاجة إلى ظلمهم، لأن الظالم يظلم لأنه بحاجة، والله غني عن أية حاجة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 18/ 49]، لأن الظالم يظلم ليأخذ ويكسب، والله له ملكوت كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء، لذلك نفى الله سبحانه عن نفسه الظلم لأنه غني ولأنه قيوم بنفسه سبحانه وتعالى.

3. الله سبحانه أعطى العبد حرية الاختيار وأعلمه بالخير والشر عن طريق الرسل والكتب وبين له كل أسباب السعادة وكل أسباب الشقاء، ويوم القيامة يقيم عليه الحجة ويعطيه كتاب أعماله. قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: 17/ 14]، ويُشهد عليه أعضاءه، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: 36/ 65]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: 41/ 21]، ويُشهد عليه الأرض التي كان يمشي عليها، قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ [الزلزلة: 99/ 4].

4. ومن عدل الله وفضله ورحمته أنه لا يكلف إلا العاقل البالغ.

1. لأن العاقل البالغ هو الذي يختار.

2. لأن الله أعطى العبد الإرادة على الفعل وعدمه، وأعطاه العقل والإدراك.

3. أعطاه القدرة وهي ضد العجز.

4. وأعطاه البيان بأن وضّح له الخير من الشر.

5. أعطاه الفطرة السويّة التي تماشي الخير وتنفر من الشر، وكل البحوث العلمية اليوم تؤيد ذلك بأن الإنسان إذا كذّب أو سرق أو قتل أو ارتكب أي غلط تختلف دقات قلبه، ويختلف تعرقه وحرارته وذبذبات أعصابه، كل هذه المعطيات من عدل الله وفضله وأن الله سبحانه لا يظلم أحداً، والله حرّم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء: 4/ 40]، وبذلك نقول: إن العبد لا يحاسب إلا على فعله وكسبه وتصرفه نتيجة كل المعطيات السابقة.

5. ويجب الإيمان الكامل بعدل الله تعالى ورحمته والقاعدة المثلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠﴾ [الكهف: 18/ 30]، فهذه القاعدة المثلى المطلقة التي تتماشى

مع الإيمان وهي أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فكن على ثقة من ذلك.

9. احتجاج المشركين بالقدر:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: 6/ 148]، فالذي يحتج بالقدر على الذنوب فهذا مذهب الكفار والمشركين، وهذا من الكفر لأنه ينسب الظلم إلى الله تعالى، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وردَّ الله عليهم بقوله: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٦٥﴾ [النساء: 4/ 165]، فليس لأحد حجة؛ لأن الرسل جاءت ووضحت شريعة الله تعالى ووضحت الخبيث من الطيب، والخير من الشر، والقدر لا يعلمه إلا الله وهو غيب، واختيارك للأمور بين يديك بدون إكراه أو إجبار، ولو كنت مُجْبَراً لسقط التكليف، وحيث أنك مكلف فأنت غير مُجبر.

إن ما يكون من فعل العبد واختياره فإنه لا يصح ولا يحق له الاحتجاج بالقدر، أو ما كان خارجاً عن إرادته وفعله فله أن يحتج بالقدر.

مثال ذلك: لو أنك أسرعت بسيارتك وتسببت بحادث فلا يحق لك أن تلوم القدر، لأن السرعة من فعلك واختيارك. أما إذا ركنت سيارتك في مكان وقوف للسيارات مخصص، ووقعت عليها شجرة أو صخرة ثم أتى أحد ليلومك فلك الحق بالاحتجاج بالقدر، لأنك ما أخطأت ولا خالفت ولا فعلت أمراً محظوراً حتى تلام عليه، وقصة موسى وآدم عليهما السلام، فآدم عليه السلام أخطأ وأكل من الشجرة وتاب وغفر الله له توبته، وموسى لامه على خروجنا من الجنة، وآدم احتج بالقدر على النتيجة ولم يحتج بالقدر على الخطأ الذي ارتكبه، وبمعنى آخر: أن آدم لم يكن يعلم أن أكله من الشجرة سوف يخرجه من الجنة، فالإخراج هو المصيبة التي احتج آدم بالقدر عليها، أرجع إلى

مثال السيارة: أنا ما كنت أعلم حين ركنتها في مكان معين أن صخرة ستنزل عليها، فلا تلمني على أني ركنتها هناك، وكذلك قال آدم: لا تلمني على الأكل من الشجرة؛ لأني لم أكن أعلم قدر الله أن هذه الغلطة سوف تخرجني من الجنة، أو أن أحتج بالقدر على ذنب تاب منه وغفر الله له.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه